سلسلة الدعوة الفيسبوكية

أولًا شرح الأربعين النووية

مقتبس من سلسلة (تَوضِيحُ السُنَّةِ لِعَامَّةِ الأُمَّةِ و تَبيينُ مُعْتَقَد أَهْلِ السُنَّةِ)

أولًا : الشَّرْحُ المُعين لِحِفْظِ وفَهْمِ الأَرْبَعِين و تَتِمَّة الخَمْسِين

مزيدة بحكم الشيخ الألباني على الأحاديث التي في غير الصحيحين

وتحتوي على ما يقارب ألفين (٢٠٠٠) فائدة

جمع وترتيب

عمادالدين أبوالنجا

غفر الله له ولوالديه ولمن دعا لهم وللمسلمين

بسم الله الرحمن الرحيم

شُكـــــر

انطلاقًا من قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ " (1) فإنني أشكره سبحانه – ؛ استجابة لأمره إذ قال – تعالى – : (أَنِ اشْكُرْ لِي) (لقمان / ١٤) كما أشكره – سبحانه – أن هدانا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ .

وبعد شكره – سبحانه – فإنني أشكر رسولَه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الذي علّمني وعلّم الأمة بأسرها فكان المعلِّم الأول للأمة . كيف لا وقد تولّى ربُّه تعليمه ، قال – سبحانه وتعالى – مخاطبًا إياه : (وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا) (النساء / ١١٣) ، فكان – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أعلم العلماء وأحكم الحكماء ، ولمّا علّمه ربُّه أمره بالبلاغ فقَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ) (المائدة / ٦٧) ، قال الشيخ السعدي – يرحمه الله تعالى – عند تفسير هذه الآية : " هذا أمر من الله لرسوله مُحَمَّد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بأعظم الأوامر وأجلها ، وهو : التبليغ لما أنزل الله إليه ، ويدخل في هذا كل أمر تلقته الأمة عنه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من العقائد والأعمال والأقوال ، والأحكام الشرعية والمطالب الإلهية إنما كان بتبليغه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – إياه فبلَّغ أكمل تبليغ ، ودعا وأنذر ، وبشَّر ويسَّر ، وعلَّم الجهال الأمِّيين حتى صاروا من العلماء الربانيين ، وبلَّغ بقوله وفعله وكتبه ورسله . فلم يبق خير إلا دلَّ أمته عليه ورغبها فيه ، ولا شر إلا ونهى الأمة عنه وحذرها منه ، وشهد له بالتبليغ أفاضل الأمة من الصحابة ، فمن بعدهم من أئمة الدين ورجال المسلمين ، ومن هنا يجب الإيمان بأن الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بلَّغ الرسالة ، وأدَّى الأمانة ، ونصح للأمة " .

وبعد شكر الله – عزّ وجلّ – وشكر رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فإنني :

أولًا : أشكر علماءنا ومشايخنا الذين لهم الفضل بعد الله في تعليمنا وتأديبنا .

ثانيًا : أشكر والداي ففضائلهما عليَّ تترا قال – تعالى – : (أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ) (لقمان / ١٤) .

ثالثًا : أشكر كل من ضحَّى أو تنازل عن حق من حقوقه من أجل إتاحة الوقت لي لإنجاز هذا العمل من زوجة و أولاد ومن لهم حق عليَّ .

رابعًا : أشكر إخواني وتلامذتي وكل من ساهم في خروج هذا العمل من كتابة وطباعة وتنسيق وكذا نصح وتوجيه.

خامسًا : القراء وكل من سيقدِّم لي نقدًا بناءً ونصيحة لله أو توجيهًا أو إرشادًا أو تصويب أخطاء أو أيَّ شئ من شأنه إخراج هذا العمل في أفضل صورة ليعمَّ النفع به كل الناس .

---

(١) قال عنه الشيخ الألباني : " صحيح " (يُنظر : صحيح الجامع /ح٦٥٤١) طبعة المكتب الإسلامي ، (صحيح الترمذي / ١٩٥٥) .

شكر خاص

وهذا شكر خاص جدًا لإخواني الذين حفّزوني لإتمام هذا العمل ، ولمساعدتهم إياي في تجهيز بعض الشروح وقد رتَّبتهم ترتيبًا ألفبائيًا ومن هؤلاء :

١ – إبراهيم السعيد

٢ – أحمد اسماعيل

٣ – سامح منصور

٤ – عمرو اللبان

٥ – كريم صلاح

٦ – مجدي كمال

٧ – مُحَمَّد حلبية

٨ – مُحَمَّد السحراوي

٩ – مُحَمَّد المغربي

١٠ – مدحت زنيزن

مقـــدمـــــة

إنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَ نَسْتَعِينُهُ ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِىَ لَهُ وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُواْ اتَّقُواْ اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ) (آل عمران / ١٠٢) .

(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١)) (النساء) .

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١)) (الأحزاب) .

أما بعـــــــــــــد

فلا يخفى على مسلمٍ شرفُ الحديثِ وأهله ، بل من العلماء من قال عنهم هم الفرقةُ الناجية ، والطائفةُ المنصورة وكذلك قالوا : إنهم أهلُ الحديث ، ومن هولاء : عبدالله بن المبارك ، وعلي بن المديني ، وأحمد بن سنان ، والبخاري ، وغيرهم ، قال يزيد بن هارون وأحمد بن حنبل إن لم يكونوا أهلَ الحديث فلا أدري مَنْ هم . قال ابنُ تيمية – يرحمه الله – في العقيدة الواسطية : وبالنظر إلى أحوال الفِرَق ، وأقوالهم ، وما هم عليه يتبين (أن أحقَّ الناس بأن تكون الفرقةَ الناجية ، أهلُ الحديث والسنة) ، إذ هم (المتمسكون بالإسلام المحض الخالص عن الشوب) ، فهم أهل هذا الوصف ، وأحق به . فالفرقة الناجية المنصورة هم أهل الحديث كما عليه أقوال أكثر أهل العلم ، وهم أهل العلم ، وهم الذين اعتقدوا الاعتقاد الحق .

فمن اعتقد الاعتقاد الحق فهو ناجٍ بوعد الله جل وعلا له ووعد الرسول – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمْ – له في الآخرة وهو منصورٌ في الدنيا ومنصورٌ في الآخرة كما قال تعالى : (إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ) فهم منصورون في الدنيا ومنصورون في الآخرة .

إذن هذا النعت الذي عبَّر به شيخ الإسلام – يرحمه الله – ينبئ عما كان كالإجماع عند أهل السنة والجماعة وعند أهل الحديث وعند أئمة الإسلام أن الفرقةَ الناجية والطائفةَ المنصورة كلَّها تدل على طائفةٍ واحدة وعلى فرقةٍ واحدة وهم الذين اعتقدوا الاعتقاد الحق وساروا على نهج السلف الصالح – رضوان الله عليهم – . لهذا أرجو الله أن يجعلني والقارئين ممن ينالوا هذا الشرف .

وبعد

فلقد سألني بعض إخواني أن أشرح لهم (الأربعين النووية) إلا أن شروح النووية كثيرةٌ جدًا هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فلست أهلًا لهذا العمل ، فقد أحسنوا بي الظن إلا أنهم في الحقيقة (اسْتَسْمَنُوا ذا وَرَم) ، فاتفقت معهم على أن نجمعَ شروحها ، ونختارَ منها شرحًا يسيرًا نلتزمُ به ، حفظًا للمتن ، وفهمًا للشرح ، وذلك من باب

التحفيز والتدريب ، فجمعوا – جزاهم الله خيرًا – عدةَ شروح مهمة تغني عن التكرار ، إلا أن الله شرح صدري لطريقة مختلفة في الشرح ، فاستشرت بعض أهلِ الفضل ، وكذا إخواني فأثنوا عليها ، فاستعنت بالله وشرعت فيها ، سائلًا الله أن تكون لبنة في خدمة السنة وأهلها .

تنبيهٌ مهمٌ جدًا

وقبل أن أبدأ أنبّه على قضيتين مهمتين وهما كالآتي : –

أولًا : وجدت أثناء قراءتي في الكتب المعنية بشروح أحاديث رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أن معظمها – وللأسف الشديد – على غير عقيدة أهل السنة والجماعة ، وأن أغلب شروح كتب السنة وقع فيها تأويل لصفات الله – عز وجلّ – ، ومنهم من يذهب مذهب الأشاعرة في باب الصفات .

ثانيًا : نظرت في شروح الأحاديث ، وبحثت فيها لعلي أجد شرحًا يُقرّب لي كلامَ النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – حتى أفهمَ معناه ، وأعملَ بمقتضاه ، – وللأسف الشديد – لم أجد بُغْيَتي فقلت في نفسي : هل إذا أردتُ أن أعرفَ معانيَ أحاديثِ صحيح البخاري ، أقرأُ فتحَ الباري ؟ وإذا أردتُ أن أعرفَ معانيَ أحاديثِ صحيح مسلم ، أقرأُ شرحَ النووي ؟ وهكذا كلُّ كتبِ السُّنَّة . وماذا يفعل عامَّةُ الأمَّةِ إذا أرادوا أن يقرأوا أو يعرفوا معاني أحاديث رسولِ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، هل يقرأون في هذه الشروح المطوَّلة ؟

أعتقد أنهم سيقابِلون صعوبات عِدَّة منها : –

١ – لا يستطيعون تمييز عقيدةِ أهلِ السنةِ والجماعةِ من غيرها .

٢ – سيجدون صعوبةَ الأسلوبِ في هذه الشروح .

٣ – كثرةَ المسائل والتفريعات مما لا يتناسب مع المبتدئين .

٤ – ضخامةَ الكتب وكثرةَ المجلدات بمثابة حاجز نفسي يحول دون الاستفادة من هذه الشروح .

كلُّ هذا وغيرُه جعلني أُفكِّرُ في أن أحاولَ (توضيح السُّنَّة لعامَّةِ الأُمَّة ، و تبيين معتقدِ أهلِ السُّنَّة) .

وإن كنتُ لستُ أهلًا لهذا العملِ الشريف ، إلا أنني أستعين بمولاي – اللهِ عز وجل – أن يوفقني لوضعِ اللبنةِ الأولى في هذا الصرح الشامخ ، ولعل اللهَ أن يستخلفَ من يُكملُ البناء ، وقد منَّ الله عليَّ ، وألقى في روعي أن أكتب سلسلة بعنوان (توضيح السنة لعامَّة الأمة ، و تبيين معتقد أهل السنة) ثم وفقني الله وأعانني في الشروع بأول حلْقة في هذه السلسلة ، ووقع الاختيار على مجموعة أحاديث معروفة بـ (الأربعين النووية) .

فإنّ كتابَ (الأربعين النووية) الذي اختار أحاديثه وجمعَها الإمام يحيى بن شرف الدين النووي (ت ٦٧٦ هـ) – يرحمه الله تعالى – ، يعتبر من الكتب المهمة التي كَتَبَ الله لها القبول والانتشار ، لأنه ضمَّنه الأحاديث التي هي من أصول الإسلام وقواعده . وهو من أشهر كُتُب الحديث المجموعة ، وأوفرها حظًّا بالدراسة والشرح ، فقد عَدَّ بعضُهم شُروحَها خمسين شرحًا ، بعضها مطبوع ، وأكثرها مخطوط .

وأصل كتابه (الأربعون النووية) أن ابن الصلاح – يرحمه الله تعالى – جمع في مجلس من مجالس تدريسه للحديث ، الأحاديث الكلية التي يدور عليها علمُ الشريعة ، فجعلها ستةً وعشرين حديثًا ، فنظر فيها العلَّامةُ النووي – يرحمه الله – فزادها ستة عشر حديثًا ، فصارت الأحاديث التي اختارها النووي ثنتين أو اثنين وأربعين حديثًا ، فسميت بالأربعين النووية تجوزًا .

ثم زاد عليها الحافظ الإمام عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي ثمانية أحاديث كلية أيضًا ، وعليها مدارُ فهمِ بعضِ الشريعة ، فصارت خمسين حديثًا ، وهي التي شرحها في كتابه المسمى " جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم " .

وأصل هذه الأحاديث في اختيارها على أنها جوامع كلم تدور عليها أمور الدين ، فمنها ما يتصل بالإخلاص ، ومنها ما هو في بيان الإسلام وأركانه ، والإيمان وأركانه ، ومنها ما هو في بيان الحلال والحرام ، ومنها ما هو في بيان الآداب العامة ، ومنها ما هو في بيان بعض صفات الله – جل وعلا– وهكذا في موضوعات الشريعة جميعًا.

فهذه الأحاديث الأربعون ، وما زيد عليها أيضًا ، فيها عِلْم الدين كله ، فما من مسألة من مسائل الدين إلا وهي موجودة في هذه الأحاديث من العقيدة ، أو من الفقه ، وهذا يتبين لمن طالع " الشرح العجاب " شرح ابن رجب – يرحمه الله – على الأربعين النووية ، وعلى الأحاديث التي زادها ثم شرحها .

فالعناية بها مهمة ؛ لأن في فهمها فهم أصول الشريعة بعامَّة ، وقواعد الدين ، فإن منها الأحاديث التي تدور عليها الأحكام كما سيأتي بيانه – إن شاء الله تعالى – مفصلًا .

ولعل من أسباب شُهرة هذا الكتاب ، وإقبال الناس عليه قديمًا وحديثًا ما يأتي :

١ – أنّ أحاديثَه تُعَدُّ من جوامع كَلِمِ النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

٢ – وأنّ أغلبَ هذه الأحاديث هي من أحاديث الصحيحين البخاري ومسلم .

٣ – وأنَّ كُلَّ حديثٍ منها يُعَدُّ قاعدةً عظيمةً من قواعد الدين ، وقد نَعَتَ العلماءُ بعضَ أحاديثه بأنَّ عليه مدارَ الإسلام ، ونعتوا بعضَها الآخر بأنَّ عليه نصفَ مدارِ الإسلام ، أو ثلثَه أو نحو ذلك .

وأما هذه الطريقة التي شرح الله صدري لها فهي عبارة عن :

١ – تقسيم الحديث إلى جُمَل ، أو قد يكون كلمة واحدة .

٢ – أوضِّح معاني كلمات هذه الجملة .

٣ – ثم أذكر المستفاد من هذه الجملة ، وهكذا إلى آخر الحديث .

و الأربعون النووية يعتبر من أهم متون الحديث وقد تناوله جمع من العلماء وطلاب العلم بالتعليق تارة ، وبالشرح المُيَسَّر تارة ، وبالشرح المُطَوَّل أخرى ، إلا أن الله قد شرح صدري لجمع تعليقٍ يسيرٍ بطريقةٍ مختلفة ، ما أعلم أَنِّي سُبِقْتُ إليها ، فلعلها تناسب بعض طلاب العلم ، أو ينفع الله بها .

لماذا هذه الطريقة ؟

١ – طريقة مبتكرة في شرح الأحاديث فلم أرَ شرحًا سابقًا للنووية – على كثرة مَنْ شرحها – على هذه الطريقة وهذا من باب التنويع في الشرح فلعله يناسب طائفة من الناس .

٢ – سهولة هذه الطريقة .

٣ – ربط ما يستفاد من الجملة أو الكلمة بمعناها ، مما يسهل الحفظ والفهم معًا .

٤ – إرشاد القاريء إلى أن هذه الفائدة مستنبطة من هذه الكلمة أو هذه الجملة مما يعينه على الاستنباط والتدرب على إعمال الذهن في التفكر والتدبر للنص .

٥ – بيان فضل وبركة كلام النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وأنه أوتيَ جوامع الكلم فقد تُخْرِج من كلمة واحدة الكثير من الفوائد .

٦ – يستطيع الشارح بهذه الطريقة أن يقف عند أي نقطة أو جملة ويسكتمل ما بعدها وخاصة إذا كان إمامًا في مسجد يشرح للمُصلِّين ولا يريد أن يطيل عليهم ؛ فبإمكانه أن يُقطِّع الحديث إلى جُمَل يتكلم عن معاني كلمات هذه الجملة وما يستفاد منها ويتوقف عند هذا الحد ويستكمل بسهولة في لقاء قادم .

٧ – ينتفع السامع من أي جملة حضر عندها حتى وإن جاء متأخرًا أولم يستمع للشرح من أول الحديث .

٨ –كل جملة بمثابة درس منفصل فيقطع الملل عن المستمع ويقضي على كثرة الكلام فإن كثرة الكلام يُنْسِي بعضه بعضًا .

وقد جمعت عدة شروح لنخبة من العلماء وطلاب العلم وصهرتها في بوتقة واحدة مع التصرف في بعض العبارات بالحذف أو الاختصار أو الإضافة أحيانًا ، فإن أصبت فالحمد لله وحده أولًا وآخرًا ، وإن أخطأت فهذه طبيعة البشر ، فأرجو من القاريء أن يلتمس لي العذر ، وأن يقدِّم لي النصح ، وله مني الدعاء والشكر.

ومن الشروح التي أكثرت من الاستفادة منها ما يلي : –

١ – التلخيص المعين في شرح الأربعين للشيخ العلامة / مُحَمَّد بن صالح العثيمين إعداد : سلطان بن سراي الشمري

٢ – التحفة الربانية في شرح الأربعين حديثًا النووية / إسماعيل بن مُحَمَّد الأنصاري

٣ – الفوائد المستنبطة من الأربعين النووية / عبد الرحمن بن ناصر البراك

٤ – فتح القوي المتين / عبد المحسن العباد

٥ –كتاب الجامع في شرح الأربعين النووية / مُحَمَّد يسري

٦ – شرح الأربعين النووية / سليمان بن مُحَمَّد اللهيميد

٧ – تعليقات تربوية على الأربعين النووية / عقيل بن سالم الشمري

٨ – قواعد وفوائد من الأربعين النووية / ناظم بن سلطان

٩ – الأربعين النووية مفردات وفوائد / مُحَمَّد مرعي

تنبيه :

أثناء مطالعتي لشروح النووية ، طالعت كتيّب موسوم بـ (الأربعين النووية مفردات وفوائد للأخ المفضال / محمد مرعي – سدده الله وحفظه ووفقه لما يحبه ويرضاه – إلا أنني وجدت فيه شيئًا أردت أن أُنبّه عليه ، وأرجو من أخي أن يسامحني على إساءة الأدب ، فيعلم الله أني قد حاولت الوصول إليه ، ففشلت في ذلك ، على العموم الذي أردت أن أُنبّه عليه ، ما ذكره أخي المفضال في حديث رقم (٣١) ذكر في المفردات معنى (أحبني الله : بإرادة الثواب والإحسان) كذا قال – عفا الله عنه – ، وأنا أحسن الظن به أنه ما قصد مخالفة عقيدة أهل السنة والجماعة وتأويل صفة المحبة لله عز وجل ، ولعل هذا سبق قلم منه لعله يتداركه إن شاء الله .

– و قبل أن أبدأ أقول للقارئ الكريم أخيرًا في هذا التمهيد : أسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم إنه جواد كريم .

وبعد فهذا جهد المقل ، لا أبرئه من نقص ، ولا أحاشيه من خطأ ، فإن الكمال لله تعالى ، والعصمة لنبيه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ومأمولي من الناظر فيه أن ينظر بالإنصاف ويترك جانب الطعن والاعتساف فإن رأى حسنًا يشكر سعى زائره ويعترف بفضل عاثره ، أو خللا يصلحه أداء حق الأخوة في الدين فإن الإنسان غير معصوم عن زللٍ مبين ، وأسأل كلّ من وقف على هذا البحث المسامحة عما فيه من التقصير ، وإصلاح ما فيه من الغلط بعد التحرير ؛ وسبب الغلط في الغالب النسيان ، وقد جُبل عليه كل إنسان . وأقول كما قال الحريري :

فانظر إليها نَظَر المستحسِنِ *** وأَحسنِ الظنَّ بها وحَسِّنِ

وإن تَجِد عيبًا فَسُدّ الخَلَلا *** فَجَلَّ من لا عَيبَ فيه وعَلاَ

فالمنصفُ لا يشتغل بالبحث عن عيبٍ مُفضحٍ ، والمتعسِّفُ لا يعترف بالحق المُوضَحِ :

فعينُ الرضا عن كل عيبٍ كليلةٍ *** ولكن عينَ السخطِ تبدي المساويا

(فليُنعِمِ الناظرُ فيه النظر ، وليوسع العذرَ ؛ إنَّ اللبيبَ مَنْ عذر ؛ فلقد سنحَ بالبالِ ، على غاية من الإعجال . ويأبى الله العصمة لكتاب غير كتابه ، والمنصف من اغتفر قليل خطأِ المرء في كثير صوابه)

فيا ربُّ اغفر لمن كاتبه *** وعُمَّ به يا ربُّ من قال آمينا

كتب أحدهم على ظهر مخطوط " بديع المعاني شرح بديعية القازاني " :

لله الحمدُ دومًا إذ هداني ... لما أَلَّفتُ مع ضعفي وكربي

فإن تنظر خطا والعبد يخطي ... فأصلح زلة بانت بكتبي

وإن تنظر صوابًا فاثن خيرا ... فهذا كله من فضل ربي

وعلى ظهر مخطوط " لقط المرجان في أحكام الجان " للسيوطي :

وإن تجد عيبًا فسد الخللا ... تبق عند الله في عين الملا

لا تعاير من به عيب وقل ... جل من لا عيب فيه وعلا

ولآخر :

وإن تجد عيبًا فسد الخللا ... واكسُ ما تلقاه فضلا حُلُلا

وبخاتمة متن السُّلَّم للعلامة الأخضري الجزائري :

وَكُنْ أَخِيْ لِلْمُبْتَدِيْ مُسَامِحَا ... وَكُنْ لِإصْلاحِ الفَسَادِ نَاصِحَا

وَأَصْلِحِ الفَسَادَ بِالتَّأَمُّلِ ... وَإِنْ بَدِيْهَةً فَلا تُبَدِّلِ

إِذْ قِيْلَ كَمْ مُزَيِّفٍ صَحِيْحًا ... لأَجْلِ كَوْنِ فَهْمِهِ قَبِيْحَا

وَقُلْ لِمَنْ لَمْ يَنْتَصِفْ لِمَقْصِدِيْ ... العُذْرُ حَقٌّ وَاجِبٌ لِلْمُبْتَدِيْ

وبخاتمة ألفية ابن الوردي في تعبير المنامات :

الناس لم يُصنِّفوا في العلمِ ... لكي يكونوا هدفًا للذمِّ

ما صنفوا إلا رجاءَ الأجرِ ... والدعواتِ وجميلَ الذِّكرِ

لكن عَدمتُ جسدًا بلا حسدْ ... ولا يضيع الله أجرًا لأحدْ

والله عند قول كل قائلِ ... وذو الحجا من نفسه في شاغلِ

ورجائي ممن اطلع عليه أن ينظر إليه بعين الإنصاف والموادعة ، لا بعين الاعتساف والمنازعة ، فإني ما قصدت به الشقاقَ والمجادلة ، ولا إظهارَ الغلبةِ والمماحلة .

واللهَ أسألُ أن يكسوه حلُلَ القبولِ ، وأن يَمُنَّ عليَّ ببلوغِ منتهى السولِ ، إنه قريب مجيب .

وما أحسن قول القائل :

فإن وقَفَتْ قُدرتى دون هِمَّتى ... فمبلغُ علمى ، والمعاذيرُ تقبلُ

وقيل أيضًا : لو كانت للكلماتِ أجنحةً فطارت لتعودَ على أعشاشها القديمة التي انطلقت منها ، لما بقي في كتبنا إلا أقل القليل .

قال أبو محمدٍ بنُ حزم : (وإنما ذكرنا التآليفَ المستحقةِ الذكرِ والتي تدخل تحت الأقسام السبعةِ التي لا يؤلِّفُ عاقلٌ إلاّ في أحدِها وهي : –

١ – إما شيءٌ لم يُسبق إليه يخترعه ٢ – أو شيءٌ ناقصٌ يتمّه ٣ – أو شيءٌ مستغلقٌ يشرحه

٤ – أو شيءٌ طويلٌ يختصره دون أن يُخِلَّ بشيءٍ من معانيه ٥ – أو شيءٌ متفرّقٌ يجمعه

٦ – أو شيءٌ مختلَطٌ يُرتِّبه ٧ – أو شيءٌ أخطأ مؤلِّفهُ يصلحه) .

فالجواد قد يكبو ، والسيف قد ينبو ، والكمال لله سبحانه .

سائلاً المولى – عزَّ وجلَّ – أن يرزقني الإخلاصَ في جميع أقوالي ، وأفعالي ، ويجعلها ذخرًا لي يوم لِقاه ، وسببًا لنيل رضاه ، وأن يتقبلها مني بقبولٍ حسن . قال أحد الفضلاء :

مَنْ ذَا الذِي مَا سَاءَ قَط   وَمَنْ لَه الحُسْنَى فَقَط

فسمع هاتفًا يقول : مُحَمَّدُ الهَادي الذِي   عَليْهِ جِبْرَيلُ هَبَطْ

وقال غيرُه : إنَّ أخَاكَ الحَقُّ مَنْ كانَ مَعَكَ   ومَنْ يضرُّ نفْسَهُ لينْفَعَكَ

ومَنْ إذا ريبُ الزّمانِ صَدَّعَكَ   شَتَّتَ فيكَ شَمْلَهُ ليَجْمَعَكَ

قال ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥) : (المنصف من اغتفر قليل خطأ المرء في كثير صوابه) .

وقيل أيضًا : (السعيد من عُدّت غلطاته ، وما اشتدت سقطاته) .

قال أبوعبد الله (أحمد بن حنبل ت ٢٤١) : ما رأيت أحدًا أقل خطأٍ من يحيى بن سعيد القطان ، ولقد أخطأ في أحاديث ، ثم قال أبو عبدِ الله : ومن يَعرَى من الخطأِ والتصحيف ؟!

قال الجاحظ (ت ٢٥٠) : ينبغي لمن كتب كتابًا ألا يكتبه إلا على أن الناس كلُّهم له أعداء وكلهم عالم بالأمور وكلهم متفرغ له .

قال يحيى بنُ خالد البرمكي(ت ١٩٠):(ثلاثة أشياء تدلّ على عقول أربابها : الهدية ، والكتاب ، والرسول)

قال الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣) : (من صنّف فقد جعل عقلَه على طَبَقٍ يَعرضُه للناس) .

قال ابن المقفّع (ت ١٤٤) : (مَن وضع كتابًا فقد استُهدِف فإن أجاد فقد استُشرِف ، وإن أساء فقد استُقذِف)

قال يعقوب الأديب : كم من كتابٍ قد تصفَّحتُهُ ... وقلتُ في نفسي صححتُهُ

ثم إذا طالعتُهُ ثانيًا ... رأيتُ تصحيفًا فأصلحتُهُ

فاللهُ عزَّ وجلَّ يرضى عن المنصف في سواء السبيل ويوفق المتعسف حتى يرجع عن الأباطيل ويمتع بهذا الكتاب المسلمين من العالِمين العامِلين ، فإني جعلتُه ذخيرةً ليومِ الدين ، وأخلصت فيه باليقين ، واللهُ لا يضيعُ أجرَ المحسنين ، وهو على كل شيء قدير ، وبالإجابة لدعانا جدير ، وبه الإعانةُ في التحقيق ، وبيده أزِمَّةُ التوفيق .

وقال آخر :

بمكارمِ الأخلاقِ كن متخلقا   ليفوحَ عَرْفَ ثناك العطرِ الشذي

وانفع صديقَكَ إن أردتَّ صداقةً   وادفع عدوَّك بالتي فإذا الذي

يشير – يرحمه الله – إلى قوله تعالى : (وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ) (فصلت / ٣٤) .

التمهيد

لا يخفى على طالب علم أهمية حفظِ المُتونِ خاصةً في بدايةِ طلبِ العلمِ ، وسوف أُلقِي الضوءَ على ذلك .

أهميةُ الاهتمامِ بالمتونِ حفظًا وفهمًا وعلمًا وعملًا وتبليغًا .

إذا ضبطَ طالبُ العلمِ المتونَ المعروفةَ في الحديثِ ، وفي العلومِ المختلفةِ ، فإنه يكون مُهَيَّئًا للانتقالِ إلى درجاتٍ أعلى بفهمٍ وتأسيسٍ لما سبق .

يُقال : مَنْ حَفِظَ المُتون ، حازَ الفُنون ، ونحن في الواقع ضيعنا المتون بينما كان طلبةُ العلمِ في السابق لا يقرءون فَنًّا إلا بعد حفظِ متنٍ فيه ، مِثلَ الزادِ في الفقه ، والألفيةِ في النحو ، فلا بدَّ لطالبِ العلمِ في أي فَنٍّ يقرأه ، أن يكون حافظًا لمتن فيه .

ولكن – وهذا من المؤسف –كثرةَ المشاغل ، وحشوَ القلبِ بكثيرٍ من الأشياءِ أضعفَ ذاكرةِ الحفظ ، ومهما يكن من شيء فينبغي للطالب إذا استطاع أن يحفظ متنًا ولو لم يفهمه ، لأنه سيأتي وقت يفهمه .

ولذا نجد في نظام الكتاتيب ، اعتناءَهم بتحفيظ الأطفالِ القرآن الكريم مع أن أحدهم لا يفهم معناه ، ولا يستطيع أن يرتقي إلى مستوى الفهم ، لكن بعد أن يَكبُرَ يكون الحفظُ موجودًا ، فإذا قرأ فهم ، أو رجع إلى التفسير كان أيسرَ عليه ، والله المستعان .

لقد سلك العلماء في قديم الزمان و حديثه في طلب العلم مسالك عِدَّة ، منها :

الحفظ : و هذا مسلك سار عليه كثير من أهل العلم و أبدعوا فيه : تأصيلًا له ، و عملًا به ، ودعوة إليه .

قال الخليل بنُ أحمد الفراهيدي :

ليس علمًا ما حوى القِمَطْرُ .... إنما العلم ما حواه الصَّدْرُ

وأهمية الحفظ معلومة ، ولاريب أن الحافظ يُقَدَّمُ على غيره ، وتظهر مِيزَتُه بين أهلِ العلمِ أنفسِهم ، ولهذا قال صاحب (الرَّحَبيَّة) :

(فاحفظ فكل حافظ إمام) وقيل : (من حفظ المتون حاز الفنون) .

ولا يَحْسُنُ في حقِّ طالب العلم الاشتغالُ عن حفظِ وضبطِ المتونِ بالمُطوَّلات ، وأوصى نفسي وطالبَ العلم بالجدِّ والاجتهادِ في طلب العلم والصبر والمثابرة عليه وتعهدِ المحفوظات بالمراجعة فمن تعهدها أمسكها ، وفي إمساكها العلمُ الكثير ، وفي إهمالِ وتركِ مراجعتِها إهمالٌ لأصلٍ عظيمٍ من أسبابِ حفظ العلم ، وليجتهد في الحرصِ على الحفظِ وعدمِ المللِ والسآمة من ذلك ، فإن الحفظَ رأسُ المال ، وكفى بالحفظ شرفًا أنه يدخل تحت دعاءِ النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – للذي يحفظ بالنَّضارة إذ قال – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ غَيْرَهُ ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ " .

قال الألباني في صحيح الترمذي : صحيح ، ابن ماجة (٢٣٠) وقد قال بعضهم :

(حرفٌ في فؤادي ولا ألفٌ في كتابي) ، وقال آخر شعرًا :

العلم ويحك ما في الصدرِ تجمعُه حفظًا وفهمًا وإتقانًا فِداك أبي

وقد أحسن بعضهم حيث يقول :

اطلُبْ ولا تَضْجَرَ منْ مَطلَبٍ * فآفَةُ الطَّالِبِ أن يَضْجَرا

أما ترَى الحبلَ بِتِكْرَارِه * فِي الصَّخْرَةِ الْصماءِ قَد أَثَّرَا

وعلى طالبِ العلمِ ملازمةَ العلماءِ العاملين ، والاستفادةَ من علومهم ، والصبرَ على ما يبدرُ منهم إن بدر .

وقد أحسن الشافعي حيث يقول :

اصبِرْ على مُرِّ الجَفَا من مُعلِّمٍ ... فإنَّ رسوبَ العلمِ في نَفَراتهِ

ومَنْ لم يذُقْ مُرَّ التعلُّمِ ساعةً ... تجرَّعَ ذلَّ الجهلِ طولَ حياتهِ

ومَنْ فاتَه التعليمُ وقتَ شبابهِ ... فكبِّرْ عليه أربعًا لِوَفاتِهِ

وذاتُ الفتى واللهِ بالعلمِ والتُّقى ... إذا لم يكونا له لا اعتبارَ لِذَاتِهِ

وقال رجل من بني أسد في الصبر :

دَبَبْتَ لِلْمَجْدِ والسَّاعُونَ قَدْ بَلَغُوا ... جَهْدَ النُّفُوسِ وأَلْقَوْا دُونَهُ الأُزُرَا

فَكَابَرُوا المَجْدَ حتَّى مَلَّ أَكْثَرُهُمْ ... وَعانَقَ المَجْدَ مَنْ أَوْفى وَمَنْ صَبَرَا

لاَ تَحْسَبِ المَجْدَ تَمْرًا أنْتَ آكِلُهُ ... لَنْ تَبْلُغَ الْمَجْدَ حتَّى تَلْعَقَ الصَّبِرَا

ورحم الله القائل : (مَنْ ثَبَتَ ، نَبَت)

والقائل : (مَنْ طلب الراحة ، ترك الراحة) (والنعيمُ لايُدركُ بالنعيم) .

وليُعلم أنه لابدَّ من المنهجية والمرحلية في الطلب ، فلكلِ علمٍ ثلاثُ مراتبٍ :

١ – اختصار ٢ – اقتصاد ٣ – استقصاء

وهذه الثلاث لثلاث : ١ – للمبتدئ ٢ – للمتوسط ٣ – للمنتهي

وليُعلم أنه ما من علم من العلوم إلا وكُتُبه بين مُختصَرٍ ومطوَّل ، متى رام المطوَّل قبل المختصر ، فقد منهجيةٍ مهمةٍ في استقرار الأصول .

والمختصراتُ لها فائدة ، وفائدتُها تثبيتُ أصول العلم ، والبناءُ كما هو معلوم ، يحتاج إلى أساسٍ قبل تشييد ارتفاعه ، فالمختصراتُ طريقٌ للكتب المطوَّلة ، وإنما المطوَّلات يُحتاج إليها في معرفة ما أُشكل من المختصرات ، ولمراجعة مسألة مثلًا ، لكن كتأسيس في طلب العلم ، لا بدَّ من رعايةِ الاختصارِ ، قبل المتوسطِ ، قبل المطوَّلِ .

(انظر المنهجية في قراءة أهل العلم / لصالح آل الشيخ) .

والآن أبدأ بحول الله وقوته في شرح الأربعين ، نفع الله به كل من نظر فيه أو أشار إليه .

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ :

" إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوْلِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا ، أَو امْرأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . [1] **رواه البخاري ومسلم .**

---

(١) الحديث الأول من النُسَخِ التي بين أيدينا من البخاري ومسلم :

١ – " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ ". (خ / ١) .

٢ – " الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْه " . (خ / ٥٤) .

٣ – " الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٢٥٢٩) .

٤ – " الْعَمَلُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ : وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٥٠٧٠) .

٥ – " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٦٦٨٩) .

٦ – " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٦٩٥٣) .

هذا الحديث ورد في البخاري في ستة مواضع وبينها الفروق الآتية :

١ – (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) (الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ) (الْعَمَلُ بِالنِّيَّةِ) (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ) .

٢ – (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ) (وَلِكُلِّ امْرِئٍ) (وَلِامْرِئٍ) (وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ) .

٣ – (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ) ليست موجودة في الحديث الأول .

٤ – (إِلَى دُنْيَا) (لِدُنْيَا) .

٥ – (أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا) (أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا) (أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا) .

– أما رواية مسلم : " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (م / ٥٠٣٦) .

* تنبيه مهم جدًا * : قد يقول قائل أو يسأل سائل : لماذا هذا الاختلاف بين هذه الروايات عما أورده الإمام النووي ؟

فأقول مستعينًا بالله ملتمسًا العذر للإمام النووي – وهذا من اجتهادي – فإن أصبت فالحمد لله ، وإن أخطأت فكل بني آدم خطّاء :

١ – قد تكون هذه الرواية التي ذكرها موجودة في بعض النسخ التي لم تصل إلينا .

٢ – قد تكون هذه الرواية التي ذكرها رواها كما وصلت إليه . ٣ – قد تكون هذه الرواية التي ذكرها رواها من حفظه .

٤ – أو قد يكون اعتراه ما يعتري البشر من الخطأ أو النسيان ، أو غير ذلك مما لا أعلمه .

توضيح الحديث

أولًا : فضل هذا الحديث :

– هذا الحديثُ أحدُ الأحاديث التي عليها مدارُ الإسلام ، ولهذا قال العلماء : مدارُ الإسلام على حديثين : هما ، هذا الحديث ، وحديث عائشة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْها – : " مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فهُوَ رَدٌّ " فهذا الحديث عمدة أعمال القلوب ، فهو ميزان الأعمال الباطنة ، وحديث عائشة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْها–: عمدة أعمال الجوارح .

(المعنى)

" إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى "

(إِنَّمَا) : أداة حصر تثبت المذكور وتنفي ما سواه .

(الأَعْمَالُ) : جمع عمل ، وهو : الفعل بقصد ، والمقصود به : الأعمال الشرعية المفتقرة إلى نية ، ويشمل أعمالَ القلوبِ وأعمالَ النطقِ ، وأعمالَ الجوارحِ ، فتشمل هذه الجملةُ الأعمالُ بأنواعها .

(بِالنِّيَّاتِ) : بتشديد الياء وتخفيفها جمع نيّة ، هي عزم القلب على فعل الشيء .

وهي لغة : قصدُ الفعلِ ، وانبعاثُ القلبِ نحو ما يراه موافقًا لغرضٍ من جلب نفعٍ ، أو دفع ضرٍ .

وشرعًا : العزمُ على فعلِ العبادةِ تَقرُّبًا إلى الله تعالى ، ومَحِلُّها القلب ، فهي عملٌ قلبيٌ ولا تعلَّق للجوارح بها .

(امْرِىءٍ) : أي لكل إنسانٍ .

(مَا نَوَى) : أي ما نواه ، فمن نوى شيئًا لم يحصل له غيره .

(المستفاد) (وعدده في هذا الحديث / ٣٥)

١– الحديث أصلٌ في تعظيم أمر إخلاص النية ، فإخلاصُ النية هو رأسُ الأمر والذي يُبنى عليه وهو العاصم بحول الله وقوته .

في الحديث دليل على أن النيةَ من الإيمان ، لأنها عملُ القلب ، والإيمانُ عند أهلِ السنةِ والجماعةِ تصديقٌ بالجنان ، ونطقٌ باللسان وعملٌ بالأركان .

٢– أهميةُ النيةِ الصالحةِ ، وعِظَمُ فضلِها حيث إن جميعَ الأعمالِ مدارُها على النية .

٣– الناسُ يختلفون في قَبولِ العملِ وعدمِ قَبوله ، وعظمِ الثوابِ والأجرِ ونقصانِهِ بناءً على اختلافِهم في صدق النيةِ وصلاحِها أو فسادِها ، وكمالِها أونقصانِها .

٤– من بركات الإخلاصِ أنه يتضاعفُ به فضلُ العمل ، ويَعظُمُ به أجرُه .

٥– أن العمل الخالي عن القصدِ لغوٌ لا يترتب عليه حُكمٌ ولا جزاءٌ إلا ما يُضمنُ بالإتلافِ .

٦– يدلُّ الحديثُ على وجوبِ تعاهدِ النيةِ والعنايةِ بها ومعالجتِها .

٧– اشتراطُ النيةِ في كلِ عبادة من صلاة وزكاة وصيام وغير ذلك ، ويدخل في هذا نيةُ نوعِ العبادةِ وعينِها ، كصلاة الظهر الحاضرةِ وصلاةِ الراتبةِ لإحدى الصلواتِ المكتوبةِ ، وصومِ القضاء ، وكذلك تُشترطُ النيةِ لجميع

العقود كالبيع والهبة والعتق ونحوها .

٨- أنه لا يُفرّقُ بين الأعمال المتشابهة في الصورة إلا النية .

٩- فوائد النية بالنسبة للأعمال :

أ - تُمَيِّزُ العبادةَ من العادةِ : مثلُ تُمَيِّزُ غُسلَ الجنابةِ عن غُسلِ التبردِ والتنظفِ .

ب - تُمَيِّزُ العباداتِ بعضِها من بعض : مثل تُمَيِّزُ صلاةِ الظهر عن صلاة العصر .

ج - تُمَيِّزُ المقصودِ بالعمل أهو اللهُ وحدَهُ أم لا ؟

١٠- ابتناء العملِ على النية صلاحًا وفسادًا ، وكذلك الجزاءِ ، ففسادُ النيةِ يستلزم فسادُ العمل ، كمن عمل لغير الله . وصلاحُ النيةِ لا يستلزمُ صلاحَ العمل لتوقف ذلك على وجود شرط ، كموافقة الشرع .

١١- مدارُ الثوابِ في الأعمال عند الله سبحانه مرتبطٌ بالنية الصالحة وليس مجردُ الفعل ، ومن هنا لم ينتفع المنافقون بأعمالهم وذلك لذهاب نيتهم الصالحةِ أو نقصانها .

١٢- أنه لا يحصل للمُكلَّفِ من عمله إلا ما نوى .

١٣- بالنية الصالحةِ تتحولُ المباحاتُ إلى مستحباتٍ يثابُ عليها الإنسان ، فمن جلس مع غيره وسامرَهُ وآنسه من غير باطل فإنه يثاب على هذا المباحِ إن قصد مؤانسةَ أخيه المسلمِ وإدخالَ السرورِ عليه وهكذا .

١٤- وجوبُ إخلاصِ العملِ لله .

١٥- تحريمُ العمل لغير الله .

١٦- النيةُ الصادقةُ لا بدَّ لها أن تكونَ على سنةٍ نبويةٍ حتى تُقبلَ عند الله .

١٧- الحديثُ يتكلمُ عن قضية النيةِ فقط وأهميتِها ، ولم يُقصدْ به أن النية تكفي عن العمل .

١٨- أن النية نوعان :

أ - نيةُ العملِ نفسهِ وذلك في قوله : " إنما الأعمال بالنيات " .

ب - نيةُ مَنْ لأجلهِ العمل ، وذلك في قوله : " وإنما لكل امرئ ما نوى " ، وهذه هي التي عليها المُعوَّلُ في الإخلاص وضدّه .

١٩- حسنُ تعليمِ النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وذلك : بتنويع الكلام وتقسيمه ، لأنه قال : " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ " وهذا للعمل " وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى " وهذا للمعمولِ له .

(المعنى)

" فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله "

(فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ) : انتقاله من دار الشرك إلى دار الإسلام .

(الهجرة) : لغة : الترك والانتقال ، وشرعًا : الانتقال من دار الكفر إلى دار الإسلام ، ومن دارِ الخوفِ إلى دار الأمان ، كما فعل الصحابة – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم – في الهجرة إلى الحبشة ، أو الانتقال إلى دار الإسلام فرارًا بالدِّين ، والمقصودُ بها في هذا الحديث : الانتقالُ من مكةَ إلى المدينةِ قبل فتحِ مكةَ ، وتُطلقُ الهجرةُ أيضًا على ترك المنكرات كما في قوله تعالى : (والرُّجْزَ فَاهْجُر) (المدثر / ٥) .

(إلى اللهِ) : بأن يكونَ قصدُه بالهجرة طاعةَ الله عز وجل يريد ثوابَ الله ونُصرةَ دينِ الله .

(وَرَسُولِه) : محمدٍ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والهجرة إلى رسولِ الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : ليفوزَ بصحبته ويعملَ بسنته ويدافعَ عنها ويدعوَ إليها وبالذبِّ عنه ، ونُصرةِ دينه ، فهذه هجرته إلى رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، والهجرة إلى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لشخصه وشريعته حال حياته ، أما بعد مماته فتكون الهجرة إلى رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بالهجرة إلى شريعته فقط .

(فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوله) : ثوابًا وأجرًا .

(المستفاد)

٢٠– ضَرْبُ العَالِمِ الأمثالِ للتوضيح والبيان .

ففي هذا الحديث ذَكَرَ النبيُّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قاعدةً وهي : " إنما الأعمال بالنيات " ثم ذكر لها مثالاً يوضّحُها وهو " الهجرة " .

٢١– من أساليبِ التعليم : ذكرُ قاعدةٍ ثم ذكرُ مثالٍ يوضحها .

٢٢ – من حُسنِ التعليم : تقسيم الهجرة إلى قسمين : شرعية وغير شرعية ، وهذا من حسن التعليم ، ولذلك ينبغي للمعلم أن لا يسرد المسائل على الطالب سردًا لأن هذا يُنْسِي ، بل عليه أن يجعل أصولًا ، وقواعدَ وتقييدات ، لأن ذلك أقربُ لثبوتِ العلم في قلبه ، أما أن تَسرُدَ عليه المسائلَ فما أسرعَ أن ينساها .

٢٣– قُرِنَ الرسولُ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مع الله تعالى بالواو حيث قال : " إلى اللهِ وَ رَسُوله " ولم يقل : ثم إلى رسوله ، مع أن رجلًا قال للرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : مَا شاءَ اللهُ وشِئْتَ ، فَقَالَ : " بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَه " فما الفرق ؟

والجواب : أما ما يتعلق بالشريعة : فيُعَبَّر عنه بالواو ، لأن ما صدر عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الشرع كالذي صدر من الله تعالى كما قال تعالى : (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) (النساء / ٨٠) وحده .

٢٤– مشروعية الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

٢٥– وجوب الإخلاص في الهجرة وذلك بأن تكون إلى الله ورسوله في حياته – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وإلى دينه وسنته بعد وفاته – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – .

٢٦– الأفضل لكل إنسان أن يسكن الأرض التى يكون فيها أطوع لله .

٢٧- أن من أخلص في عمله حصل له مراده حكمًا وجزاءً ، فعمله يكون صحيحًا ، ويترتب عليه الثواب إذا تحققت شروط العمل .

(المعنى)

" وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا ، أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ "

(لِدُنْيَا) : بضم الدال وكسرِها من الدنوّ ، أي القُرْب ، سميت بذلك لسبقها للأخرى ، أو لدنوها إلى الزوال ، وهي ما على الأرض مع الهواء والجو مما قبل قيام الساعة . وقيل : المراد بها هنا المال بقرينة عطف المرأة عليها .

(يُصِيْبُهَا) : يُحصيها .

(يَنْكِحُهَا) : يتزوجُها .

(فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ) : كائنًا ما كان ، فالأول تاجر (الذي هاجر للدنيا) ، والثاني خاطب (الذي هاجر للمرأة) .

(المستفاد)

٢٨- خطورة الرياء : ويكمن خطرُه في كونه أمرًا خفيًا سريعًا إلى القلب ، قد يقعُ فيه الإنسانُ من حيث لا يشعر ، فآثاره خطيرة ، وعواقبه وخيمة .

٢٩- أن من عمل للدنيا لا يحصل له إلا ما نوى إذا شاء الله ، قال تعالى : (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا) (الإسراء / ١٨) .

٣٠- في الحديث إشارةٌ إلى عظيمِ خطرِ حب الدنيا على النيات ، وخاصةً فتنةَ الجاه وطلبِ الرياسة .

٣١- حبوطُ العمل بعدم الإخلاص لله .

٣٢- وقولُه : " فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِه فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوْلِه " اتَّحدَ فيه الشرطُ والجزاء ، والأصل اختلافهما ، والمعنى : من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيّة وقصدًا ، فهجرته إلى الله ورسوله ثوابًا وأجرًا ، فافترقا.

٣٣- تحقير الدنيا وشهواتها لقوله : " فهجرته إلى ما هاجر إليه " حيث أبهم ما يحصل لمن هاجر إلى الدنيا ، بخلاف من هاجر إلى الله ورسوله فإنه صرح بما يحصل له ، وهذا من حسن البيان وبلاغة الكلام .

٣٤- إخفاء نية من هاجر للدنيا ، لقوله : " فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " ولم يقل : إلى دنيا يصيبها ، والفائدة البلاغية في ذلك هي : تحقير ما هاجر إليه هذا الرجل ، وهي : الدنيا أو المرأة . أي ليس أهلاً لأن يذكر ، بل يُكنَّى عنه بقوله : " إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . وقولُه : " فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِه " الجواب : " فَهِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوْلِه " فذكره تنويهًا بفضله .

٣٥- التحذير من فتنة النساء لقوله : (أو امرأةٍ ..) وخصَّها بالذكر لشدة الافتتان بها .

كما في الحديث : (... فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِى إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِى النِّسَاءِ) . (م / ٧١٢٤) .

المعنى الإجمالي

هذا الحديث أصل من أصول الدين ، ومن جوامع الكلم التي أوتيها الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، ولذلك يدخل في كل باب من أبواب الأحكام ، هذا حديث عظيم وقاعدةٌ جليلة من قواعد الإسلام هي القياس الصحيح لوزن الأعمال ، من حيث القَبول وعدمه ، ومن حيث كثرةِ الثواب وقِلَّتِه . فإن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يخبر أن مدار الأعمال على النيات ، فإن كانت النيةُ صالحة ، والعملُ خالصًا لوجه الله تعالى ، فالعملُ مقبول . وإن كانت غيرَ ذلك ، فالعملُ مردود ، فإن الله تعالى أغنى الشركاء عن الشرك . ثم ضرب رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مثلًا يوضح هذه القاعدةَ الجليلةَ بالهجرة . فمن هاجر من بلاد الشرك ، ابتغاء ثواب الله ، وطلبًا للقُرْب من النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ، وتعلُّمَ الشريعة ، فهجرته في سبيل الله ، والله يثيبه عليها . ومن كانت هجرته لغرض من أغراض الدنيا ، فليس له عليها ثواب . وإن كانت إلى معصية ، فعليه العقاب .

الأسئلة والأجوبة التدبرية على الأربعين النووية

الحديث الأول

عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَبِي حَفْصٍ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – يَقُولُ :

" إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِىءٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُوله فَهِجْرَتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوْله ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا ، أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (١)

---

(١) الحديث الأول من النسخ التي بين أيدينا من البخاري ومسلم :

١ – " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ١) .

٢ – " الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٥٤) .

٣ – " الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَلِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٢٥٢٩) .

٤ – " الْعَمَلُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ : وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٥٠٧٠) .

٥ – " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٦٦٨٩) .

٦ – " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ ، وَمَنْ هَاجَرَ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا ، أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (خ / ٦٩٥٣) .

هذا الحديث ورد في البخاري في ستة مواضع وبينها الفروق الآتية :

١ – (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ) (الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ) (الْعَمَلُ بِالنِّيَّةِ) (إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ) .

٢ – (وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ) (وَلِكُلِّ امْرِئٍ) (وَلِامْرِئٍ) (وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ) .

٣ – (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ) ليست موجودة في الحديث الأول .

٤ – (إِلَى دُنْيَا) (لِدُنْيَا) .

٥ – (أَوْ إِلَى امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا) (أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا) (أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا) .

– أما رواية مسلم : " إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . (م / ٥٠٣٦) .

* تنبيه مهم جدًا * : قد يقول قائل أو يسأل سائل : لماذا هذا الاختلاف بين هذه الروايات عما أورده الإمام النووي ؟

فأقول مستعينًا بالله ملتمسًا العذر للإمام النووي – وهذا من اجتهادي – فإن أصبت فالحمد لله ، وإن أخطأت فكل بني آدم خطّاء :

١ – قد تكون هذه الرواية التي ذكرها موجودة في بعض النسخ التي لم تصل إلينا .

٢ – قد تكون هذه الرواية التي ذكرها رواها كما وصلت إليه . ٣ – قد تكون هذه الرواية التي ذكرها رواها من حفظه .

٤ – أو قد يكون اعتراه ما يعتري البشر من الخطأ أو النسيان ، أو غير ذلك مما لا أعلمه .

– (قالوا في تعريف النِّيَّة : بتشديد الياء وتخفيفها ، هي عزم القلب على فعل الشيء .

وهي لغة : قصد الفعل ، وانبعاث القلب نحو ما يراه موافقًا لغرض من جلب نفع ، أو دفع ضر .

وشرعًا : العزم على فعل العبادة تقربًا إلى الله تعالى ، ومحلها القلب ، فهي عمل قلبي ولا تعلق للجوارح بها).

س : إذا قال قائل : قول المُلَبِّي : لبيك اللهم عمرة ، ولبيك حجًّا ، ولبيك اللهم عمرة وحجًّا ، أليس هذا نطقًا بالنية ؟

ج : لا ، هذا من إظهار شعيرة النُّسك ، ولهذا قال بعض العلماء : إن التلبية في النسك كتكبيرة الإحرام في الصلاة ، فإذا لم تلبِّ لم ينعقد الإحرام ، كما أنه لو لم تكبر تكبيرة الإحرام للصلاة ما انعقدت صلاتك .

* واعلم أن النية محلها القلب ، ولا يُنْطَقُ بها إطلاقًا ، لأنك تتعبّد لمن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ، والله تعالى عليم بما في قلوب عباده ، ولست تريد أن تقوم بين يدي من لا يعلم حتى تقول أتكلم بما أنوي ليعلم به ، إنما تريد أن تقف بين يدي من يعلم ما توسوس به نفسك ويعلم متقلّبك وماضيك ، وحاضرك .

ولهذا لم يَرِدْ عن رسول الله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ولا عن أصحابه – رضوان الله عليهم – أنهم كانوا يتلفّظون بالنية .

س : " فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللهِ وَرَسُوْلِهِ " كيف تكون الهجرة إلى رسوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بعد موت الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – وهل يمكن أن نهاجر إليه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ؟

ج : أمَّا شخصه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فلا ولذلك لا يُهاجر إلى المدينة من أجل شخص الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – لأنه تحت الثرى ، وأما الهجرة إلى سنته وشرعه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فهذا مما جاء الحث عليه وذلك مثل : الذهاب إلى بلد لنصرة شريعة الله الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – والذود عنها .

فالهجرة إلى الله في كل وقت وحين ، والهجرة إلى رسول الله لشخصه وشريعته حال حياته ، وبعد مماته إلى شريعته فقط .

س : لماذا قرن الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مع الله تعالى بالواو حيث قال : " إِلى اللهِ وَرَسُوله " ولم يقل : ثم إلى رسوله ، مع أن رجلاً قال للرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : مَا شاءَ اللهُ وشِئْتَ، فَقَالَ :" بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَه " فما الفرق ؟

والجواب : أما ما يتعلق بالشريعة : فيعبر عنه بالواو ، لأن ما صدر عن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – من الشرع كالذي صدر من الله تعالى كما قال تعالى : (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) (النساء / ٨٠)

وأما الأمور الكونية : فلا يجوز أن يُرن مع الله أحدٌ بالواو أبدًا ، لأن كل شي تحت إرادة الله تعلى ومشيئته .

فإذا قال قائل : هل ينزل المطر غدًا ؟

فقيل : الله ورسوله أعلم ، فهذا خطأ ، لأن الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – ليس عنده علم بهذا .

* مسألة : وإذا قال : هل هذا حرامٌ أم حلال ؟

فقيل في الجواب : الله ورسوله أعلم ، فهذا صحيح ، لأن حكم الرسول – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في الأمور الشرعية حكم الله تعالى كما قال تعالى : (مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ) (النساء / ٨٠)

– (فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوْلِهِ)

س : هل هاتان الجملتان بمعنى واحد ، أو مختلفان ؟

ج : يجب أن نعلم أن الأصل في الكلام التأسيس دون التأكيد ، ومعنى التأسيس : أن الثانية لها معنى مستقل ، ومعنى التأكيد : أن الثانية بمعنى الأولى .

وللعلماء – يرحمهم الله – في هذه المسألة رأيان :

والصواب : أن الثانية غير الأولى ، فالكلام من باب التأسيس لا من باب التوكيد ، فالأولى باعتبار المنوي وهو العمل .

والثانية : باعتبار المنوي له وهو المعمول له ، هل أنت عملت لله أو عملت للدنيا .

ويدل لهذا ما فرعه النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – في قوله : " فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلى اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرتُهُ إلى اللهِ وَرَسُوْلِهِ " وعلى هذا يبقى الكلام لا تكرار فيه .

والمقصود من هذه النية تمييز العادات من العبادات ، وتمييز العبادات بعضها من بعض .

* و مثال تميز العادات عن العبادات :

أولًا : الرجل يأكل الطعام شهوة فقط ، والرجل الآخر يأكل الطعام امتثالاً لأمر الله تعالى في قوله : (وَكُلُواْ وَاشْرَبُواْ) أكل الثاني عبادة ، وأكل الأول عادة .

ثانيًا : الرجل يغتسل بالماء البارد تبردًا ، والثاني يغتسل بالماء من الجنابة ، فالأول عادة ، والثاني : عبادة .

ولهذا قال بعض أهل العلم : عبادات أهل الغفلة عادات ، وعادات أهل اليقظة عبادات .

* و مثال تميز العبادات بعضها من بعض :

رجل يصلي ركعتين ينوي بذلك التطوع ، وآخر يصلي ركعتين ينوي بذلك الفريضة ، فالعملان تميزا بنية ، هذا نفل وهذا واجب ، وعلى هذا فَقِسْ .

وقوله : " فمَن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله " اتَّحد فيه الشرط والجزاء ، والأصل اختلافهما ، والمعنى: من كانت هجرته إلى الله ورسوله نيَّة وقصدًا ، فهجرته إلى الله ورسوله ثوابًا وأجرًا ، فافترقا .

* مسألة : أيهما أفضل العلم أم الجهاد في سبيل الله ؟

والجواب : العلم من حيث هو علم أفضل من الجهاد في سبيل الله لأن الناس كلهم محتاجون إلى العلم ،وقد قال الإمام أحمد : " العلم لا يعدله شيء لمن صحت نيته "، ولا يمكن أبداً أن يكون الجهاد فرض عين لقول الله تعالى

: (وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً) فلو كان فرض عين لوجب على جميع الناس (فَلَوْلاَ نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ) أي وقعدت طائفة (لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُواْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ) (التوبة / ١٢٢) ولكن باختلاف الفاعل واختلاف الزمن ، قد نقول لشخص : الأفضل في حقك الجهاد ، ولآخر الأفضل في حقك العلم ،فإذا كان شجاعاً قوياً نشيطاً وليس بذاك الذكي فالأفضل له الجهاد ؛ لأنه أليَق به ، وإذا كان ذكيًا حافظًا قوي الحجة فالأفضل له العلم وهذا باعتبار الفاعل .

أما باعتبار الزمن فإننا إذا كنّا في زمن كثر فيه العلماء واحتاجت الثغور إلى مرابطين فالأفضل الجهاد .

وإن كنّا في زمن تفشى فيه الجهل وبدأت البدع تظهر في المجتمع وتنتشر فالعلم أفضل .

وهناك ثلاثة أمور تحتّم على طلب العلم :

١– بدع بدأت تظهر شرورها .

٢– الإفتاء بغير علم .

٣– جدل كثير في مسائل بغير علم .

وإذا لم يكن مرجّح فالأفضل العلم .

س : هل الهجرة واجبة أم مستحبة ؟

الجواب : فيه تفصيل ، إذا كان الإنسان يستطيع أن يظهر دينه وأن يعلنه ولا يجد من يمنعه في ذلك ، فالهجرة هنا مستحبة .

وإن كان لا يستطيع فالهجرة واجبة وهذا هو الضابط للمستحبّ والواجب ، وهذا يكون في البلاد الكافرة .

أما في البلاد الفاسقة – وهي التي تعلن الفسق وتظهره – فإنا نقول : إن خاف الإنسان على نفسه أن ينزلق فيه أهل البلد فهنا الهجرة واجبة ، وأن لم يخف فتكون غير واجبة ، بل نقول في بقائه إصلاح ، فبقاؤه واجب لحاجة البلد إليه في الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

والحاصل أن الهجرة من بلاد الكفر ليست كالهجرة من بلاد الفسق ، فيقال للإنسان: اصبر واحتسب ولا سيما إن كنت مصلحًا ، بل قد يقال : إن الهجرة في حقك حرام .

س : ماذا يستفاد من قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – " فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " بعد قوله " وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيْبُهَا ، أَو امْرأَةٍ يَنْكِحُهَا " ، ولم يقل : (فهجرته للدنيا ، أو لدنيا يصيبها) ؟

ج : تحقير الدنيا وشهواتها لقوله : " فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " حيث أبهم ما يحصل لمن هاجر إلى الدنيا ، بخلاف من هاجر إلى الله ورسوله فإنه صرح بما يحصل له ، وهذا من حسن البيان وبلاغة الكلام .

و إخفاء نية من هاجر للدنيا ، لقوله : " فَهِجْرَتُهُ إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " ولم يقل : إلى دنيا يصيبها ، والفائدة البلاغية في ذلك هي : تحقير ما هاجر إليه هذا الرجل ، أي ليس أهلاً لأن يذكر ، بل يكنى عنه بقوله : " إِلى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ " . ولم يقل : إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها ، لأن فيه تحقيرًا لشأن ما هاجر إليه وهي : الدنيا أو المرأة .

الأسئلة التحضيرية التدبرية على الأربعين النووية

أسئلة الحديث الثاني

س : لماذا لم يقل : أني رسول الله مع أن السياق يقتضيه ؟

س : في قوله – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – : " الإِسْلاَمُ أَنْ تَشْهَدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ " لماذا جُعِلَ هذان الركنان ركنًا واحدًا ، ولم يجعل ركنين ؟

س : (الملائكة عليهم السلام يمكن أن يتشكلوا بأشكال غير أشكال الملائكة ، لأن جبريل أتى بصورة رجل كما جاء في الحديث) ، فهل هذا إليهم ، أو إلى الله ؟

س : لماذا قَالَ : يَا مُحَمَّدُ " ولم يقل : يا رسول الله ؟

س : وما معنى هذه الشهادة ؟

س : كيف يقول : صدقت وهو السائل ؟

س : كيف يُقال :" لاَ إِلَه إِلاَّ اللهُ " مع أن هناك آلهة تعبد من دون الله ، وقد سماها الله آلهة وسماها عابدوها آلهة ، قال الله تعالى : (فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللهِ مِن شَيْءٍ) (هود / ١٠١) .

س : هل الملائكة أجسام ، أم أرواح ، أم قوى ؟

س : في قوله : " وَتَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبِيلًا " هذا الشرط في جميع العبادات لقول الله تعالى : (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ) فلماذا خص الحج ؟

س : (وَمَلاِئكَتِه) لماذا بدأ بالملائكة قبل الرسل والكتب ؟

س : (ورسله) هل نؤمن بالرسل ولا نؤمن بالأنبياء وهل بينهما فرق ؟

س : لماذا أعاد النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – الفعل : (تؤمن) ؟

س : في قوله : " وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " هل في القدر شر ؟

س : إذًا كيف نوجّه " وَتُؤْمِنَ بِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ " ؟

س : لماذا قدَّر الله الشر ؟

س : هل في تقدير إيجاد المخلوقات الشريرة حكمة ؟

س : في قوله عن أمارات الساعة :" يَتَطَاوَلُونَ فِ الْبُنْيَانِ" هل المراد بالتطاول ارتفاعًا ، أو جمالًا ، أو كلاهما؟

س : هل وُجِدَ التطاول في البينان أم لا ؟

س : لم يذكر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – أمارات أخرى أوضح من هذا ؟

س : كيف يكون جبريل أتى ليعلمهم مع أنه جاء ليسأل ؟